اسم المقرر

النثر العباسي

د.عمر شحاته محمد.

جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

تحميل وجمع / العضيد

تحويل وتنسيق / حامد الفارس

المحاضرة الأولى

مفهوم النثر العباسي وتطوره

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **مفهوم النثر العباسي**
- **تطور النثر العباسي**

مقدمة:

إذا تتبعنا ما ظهر في الأدب العربي من مؤلفات ودراسات وأبحاث، فإننا نجد أن الشعر قد استأثر بالمقام الأول من اهتمام الدارسين، واحتل مكان الصدارة في المؤلفات القديمة والدراسات الحديثة.

أما النثر – وهو قسيم الشعر في ميدان الأدب – فإنه لم يحظ بمثل ما حظي به قسيمه من عناية واهتمام، على الرغم من أنه أقرب من الشعر في التعبير عن الجماهير؛ لأنه أكثر ميلاً إلى السهولة في الأداء والتعبير؛ ولأنه يمثل لغة الجماهير فهو أكثر سهولة في التلقي والفهم.

مفهوم النثر العربي:

النثر : هو أحد قسمي الأدب الرئيسيين " الشعر والنثر " ... يتميز عن الشعر بخلوصه من كل قيد إلا قيد سلامة اللغة ، واستقامة المعنى ، وجودة التعبير ، أما الوزن والقافية فلا يختصان بالنثر، لغلبة العقل والمنطق عليه ولأن المقصود منه في الأساس حسن إيصال المعنى إلى فهم السامع أو القارئ ، وقد استعاض عنهما بالسجع .وهو أنواع ثلاثة : النثر الأدبي " الخطبة ، والأقصوصة ، والرواية ، والمسرحية ... الخ " ، والنثر العلمي ، والنثر الفلسفي.

تطور النثر العباسي:

تميز العصر العباسي بمظاهر جديدة لم تكن معهودة من قبل في العصر الأموي، تلك هي ظهور ثقافات جديدة وافدة، انصبت على العرب من الأمم العريقة المجاورة .

والذي لا ريب فيه أن هذه الثقافات الوافدة – فارسية وهندية ويونانية– قد أغنت طاقة اللغة العربية بفيض من المعاني العقلية والفلسفية.

وبذلك أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشعبة تمدها روافد كبيرة من الفرس والهند واليونان.

وهكذا أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك:

١- النثر العلمي: الذي ساد في كتب الفقه والطب والفلك والتاريخ وتقويم البلدان.

٢- النثر الفلسفي: الذي غلب على كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

٣- النثر الفني الخالص أو النثر الأدبي: الذي تجلى في كتب الأدب والنقد والرسائل والمقامات،....

كما أصبح النثر العربي في العصر العباسي في صورته الفنية متعدد الأنماط.

وكانت بعض صوره امتداداً للقديم من مثل ما كان من خطب الخلفاء الأول من بني العباس وتوقيعاتهم، ومن ذلك أيضاً نثر ابن المقفع في طابعه العام.

وقد استحدثت العربية – حينئذ- أسلوباً متميزاً حيث استبعدت الألفاظ البدوية الغريبة من العصر والحضارة مع العناية في ذات الوقت بفصاحة اللفظ وجزالته واتخذت اللغة لنفسها أصولاً بيانية خاصة كما أفادت من بلاغة الأمم الأخرى.

وقد تفاعل النثر مع ثقافات العصر محتفظاً بمقوماته العربية الأصيلة ، فلم يحدث الازدواج اللغوي الذي يعرض اللغة للضياع ، بل جدت فنون حديثة عن طريق المترجمين والمتكلمين والكتاب المجددين.

ومن الصواب القول إن العصر العباسي الأول كان بحق عصر النقل والترجمة ، فقد خطت الترجمة خطوات واسعة – في العصر العباسي الثاني على يد حنين بن اسحق وتلامذته.

الجاحظ والنثر الفني:

ومن الجدير بالذكر أن الجاحظ وهو من كتاب العصر العباسي في كتاباته النثرية قد نبه إلى أمور منها:

١- الوضوح في القول وعدم التكلف والبعد عن الغريب والمبتذل.

٢- تحدث عن جزالة الألفاظ وعذوبتها.

٣- أشاد إلى اختيار الألفاظ والسجع وأثره في نفوس السامعين.

٤- ترددت على لسانه فنون بديعية وبيانية كالكتابة، والاحتراس والحقيقة والمجاز والاستعارة... وهيأ ذلك لظهور علم البديع عند ابن المعتز.

بعض المؤلفات في النثر العباسي:

ظهرت في العصر العباسي عدة مؤلفات في النثر منها:

١- الكامل للمبرد.

٢- أدب الكاتب لابن قتيبة.

٣- كتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر.

٤- رسالة في موازين البلاغة وتسمى بالعذراء لإبراهيم بن المدبر.

عوامل ازدهار وتطور النثر العباسي:

تهيأت للنثر الفني في العصر العباسي أسباب كثيرة جعلته ينمو ويزدهر، فقد أخذ يمتد ليستوعب العلوم والفلسفة، كما يستوعب مادة عقلية عميقة حتى في المجال الأدبي .

ويمكن إجمال العوامل التي أثرت في تطور النثر في العصر العباسي فيما يلي:

١_ ازدهار حركة الترجمة والتأثر بالآثار الأدبية الأجنبية والمناظرات والأفكار البلاغية لدى الفرس واليونان والهند.

٢_ انتشار الوعاظ والقصاص والنساك في المسجد والساحات والتفاف العامة حولهم.

٣_ ظهور المذاهب الفلسفية وأقوال الحكماء في الثقافات الأجنبية في الأدب العربي.

٤_ احتدام الجدل الديني وقيام المناظرات بين الفرق الإسلامية.

٥- ظهور المؤلفات المتخصصة في مجال النثر العربي .

٦- اهتمام الكتاب بالنثر العربي في هذا العصر.

٧- ظهور حركة الترجمة حيث عملت على الامتزاج الثقافي.

٨- المناخ المناسب لتطور النثر العربي.

٩- قدرته على استيعاب الثقافات الوافدة إلى البيئة العربية.

١٠- تأثره بالنثر الأموي والإسلامي.

١١- تأثره ببلاغة وأساليب القرآن الكريم الكريم والحديث النبوي الشريف.

١٢- المذاهب الكلامية وأثرها في تعمق النثر العباسي.

١٣- تعدد أنماط النثر العباسي.

١٤- قوة اللغة العربية ورقيها والاهتمام بها في هذا العصر.

المحاضرة الثانية

فنون النثر العباسي (الخطابة)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **أنواع الخطابة(السياسية، الدينية، الحربية، خطب النكاح، خطب الوفود، ...)**
- **خصائص الخطابة العباسية.**

مقدمة:

شهد فن الخطابة رواجاً وازدهاراً في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وذلك لأهمية الخطابة وقوة تأثيرها، ولتوافر حرية القول، ومن هنا احتلت الخطابة موقعاً متقدماً بين فنون القول النثرية، فكانت ذات مكانة مهمة ومستوى فني رفيع في العصور المذكورة.

الخطابة في العصر العباسي:

جاء العصر العباسي فحافظت الخطابة على مكانتها ومستواها الرفيع في بداية العصر، لكنها لم تلبث على ذلك طويلاً حتى خفتت، ويرجع هذا الخفوت إلى سببين رئيسيين هما:

١- أن العباسيين لم يطلقوا لها الحرية التي كانت تؤدي إلى قوتها وازدهارها من قبل.

٢- أن فنوناً نثرية أخرى نافستها على مكانتها.

أنواع الخطابة:

إذا نظرنا إلى أنواع الخطابة العباسية فإننا نجد أنها مماثلة للأنواع السائدة فيما سبقه من عصور، وهي: الخطب السياسية، والخطب الدينية، والخطب الحربية، وخطب الوفادة والاحتفالات، وخطب النكاح، وسوف نعرض لهذه الأنواع.

الخطب السياسية:

كان العباسيون في بداية عهدهم يسعون إلى تثبيت حكمهم وتوطيد الدعائم لملكهم، فاستخدموا الخطابة للدفاع عن أنفسهم واجتذاب الناس إليهم، ومن هنا فقد حافظت الخطابة السياسية على مكانتها ومستواها في عهود الخلفاء العباسيين الأوائل.

غير أن العباسيين بعد أن استتب لهم الأمر عملوا على إخماد الأصوات ، فضعفت الخطابة السياسية لعدم توافر حرية القول، ولضعف الأحزاب السياسية المعارضة.

ومن الخطب السياسية التي قيلت في أوان ازدهار الخطب السياسية في هذا العصر، خطبة أبي العباس عبد الله بن محمد المعروف بالسفاح.

افتتح أبو العباس خطبته بقوله: " الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، فكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصته والقُوَّام به ".

ثم ذكر قرابة العباسيين للنبي (صلى الله عليه وسلم) في آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى:(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا).

الخطب الدينية:

كانت الخطابة الدينية ومازالت حريَّة بالتقدم والرقي والازدهار؛ لأن الإسلام قد وفر لها الفرص ، ومهد لها السبل لتحقيق ذلك؛ إذ جعلها تواكب الدعوة ، وتعالج القضايا التي تتصل بصالح المسلمين ، وجعلها واجبة على بعض الصلوات كصلاة الجمعة والعيدين، ومن هنا فقد ازدهرت الخطابة في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي أيما ازدهار.

ازدهار الخطابة العباسية وضعفها:

وفي العصر العباسي توفرت الأسباب التي أدت إلى ازدهار هذا النوع من أنواع الخطابة ، فالفرص التي أتيحت لتقدم الخطابة الدينية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ظلت متاحة في عصر بني العباس. ولكن وجدت أسباب أخرى جعلت هذه الخطابة تضعف قليلاً، ثم تدخل في طور الجمود. وأهم هذه الأسباب:

١- أن بعض الخطباء أخذوا يخطبون بكلام غيرهم.

من ذلك نجد هارون الرشيد يستن سنة كانت سبباً في أن تضعف

هذه الخطابة على ألسنة الخطباء ، إذ طلب الأصمعي أن يُعد لابنه الأمين خطبة الجمعة .

٢- أن الخطب الدينية قد أصبحت زاخرة بالقوالب الجاهزة

والعبارات المحفوظة، التي تفرض نفسها على كل خطبة .

ومن أمثلة ذلك أن المهدي خطب ذات مرة ، فقال:" إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكته ، فقال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) آثره بها من بين الرسل إذ خصكم بها من بين الأمم.

وعقب جلال الدين السيوطي على هذه العبارة بقوله: " وهو أول من قال ذلك في الخطبة ، وقد استنها الخطباء من بعده.

٣- أن الخطب الدينية قد خرجت في كثير من الأحيان ، عن الغرض الذي شُرعت له، فهذه الخطب شرعت في الإسلام لمعالجة الأحداث المتجددة والوقائع الجارية ، ولكنها خرجت عن ذلك في فترات متعددة من العصر العباسي.

الخطب الحربية:

إن العصر الذهبي للخطب الحربية هو العصر الذي شهد معارك الفتح الإسلامي في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية، وشهد أيضاً الحروب الناشئة عن الفتنة التي مني بها المسلمون منذ أواخر عهد عثمان بن عفان- رضي الله عنه – وقد كان قادة الجيوش والخطباء المرافقون لكل جيش يلهبون حماس المقاتلين بالخطب قبل المعركة ، ويلقون الخطب في أعقاب المعارك للتهنئة بالانتصار.

غير أن الخطب الحربية خفت صوتها مع ركود حركة الفتح وضعفت شوكت الأحزاب المعارضة في العصر العباسي، وإن كانت الحروب التي شهدها هذا العصر بين العباسيين والروم أو بين العباسيين والخارجين عليهم، قد ظلت حافزاً لإلقاء الخطب الحربية بين حين وآخر.

ولعل أول ما يتبادر إلى الذاكرة من هذه الخطب ، خطبة أبي العباس السفاح التي ألقاها في أهل الشام بعد انتصار العباسيين على الأمويين في معركة (الزاب).

ومن قوله فيها: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) ، نكص بكم – يأهل الشام – آل حرب وآل مروان، يتسكعون بكم الظلم،..."

خطب النكاح:

تسمى خطب النكاح أيضاً خطب الزواج أو خطب الإملاك.

وقد أكثر الناس من النسج على منوال خطبتي نكاح هما:

١- الخطبة التي ألقاها أبو طالب عند تزويج النبي (صلى الله عليه وسلم) من خديجة بنت خويلد

٢- الخطبة المأثورة عن الإمام علي الرضا.

وتبدو الخطبة التي ألقاها المأمون في تزويج بعض أهل بيته كأنها نسخة من خطبة الإمام علي الرضا.وقد دخل هذا النوع من الخطب طور الجمود في وقت مبكر، فأصبح يعاد ويكرر.

خطب الوفادة:

ضعفت خطب الوفادة في العصر العباسي، فأصبحت قليلة العدد، قليلة الشأن ، وذلك لأن خلفاء بني العباس لم يكونوا يرحبون بوفود العرب ووفود البلدان التي كانت تقصد بني أمية بالترحيب

والتكريم. ومن هذه الخطب التي ألقاها عبد الملك بن صالح بين يدي هارون الرشيد يهنئه بمولود ويعزيه عن موت ولده، إذ قال :" يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ، وجعل هذه لهذه ثواباً للصابرين وجزاء الشاكرين".

خصائص الخطابة العباسية:

أ- من الناحية الموضوعية:

١- اتخذ الخطباء العباسيون الموضوعات التقليدية موضوعاً للقول ، وضاقت بهم سبل التجديد في الموضوعات والمعاني.

٢- الأفكار التي عبروا عنها ، لم تكن بالعمق الذي ينتظره الباحث من خطباء عاشوا في العصر الذهبي للفكر الإسلامي ، فاشتملت خطبهم على أفكار مسطَّحة ، نظراً لضيق صدر السلطة، وميل معظم الخطباء إلى إيثار السلامة.

٣- يحمد للخطباء العباسيين أنهم كانوا يميلون إلى المعاني الواضحة التي لا ترهق الذهن للكشف عن المقصود.

ب- من ناحية البناء الفني:

كان للخطب العباسية هيكل عام يقوم على أربعة أركان:

١- التحميد: فقد حرص الخطباء العباسيون على افتتاح خطبهم بحمد الله، وكانوا يسمون كل خطبة لا يذكر فيها الله في أولها بالبتراء، وكانوا يوجزون فيه.

٢- الصلاة على النبي: فقد كانوا يعمدون فيه إلى الإيجاز.

٣- الموضوع: كانوا في عرض موضوعاتهم يميلون إلى الإيجاز مع مراعاة مقتضى الحال.

٤- الخاتمة: غالباً ما كانت تختتم خطبهم بالدعاء ، حيث يدعو الخطيب لنفسه ولغيره بما فيه الخير والصلاح.

ج- من ناحية الأسلوب:

١- الميل إلى السلاسة في الأساليب، والسهولة في العبارات والتراكيب.

٢- استخدام الجمل المستوية الخالية من التعقيد .

٣- تحاشي استخدام الألفاظ السوقية والألفاظ الموغلة في الغموض، والميل إلى استخدام الألفاظ المألوفة.

٤- كثر في الخطب العباسية اللجوء إلى الاقتباس والتضمين.

المحاضرة الثالثة

فنون النثر العباسي (الكتابة)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **الكتابة الديوانية(الرسائل الديوانية– التوقيعات– العهود).**
- **الكتابة الإخوانية(رسائل الشوق والمودة– رسائل الدعوة– رسائل الإهداء– رسائل الشكر– رسائل التهنئة،...).**

مقدمة:

بدأت الكتابة بداية متواضعة منذ العصر الجاهلي ، ثم ازدهرت وتطورت بنزول القرآن الكريم وتدوينه ، وانتشار الدعوة الإسلامية ، إلى أن بلغت الكتابة درجة عالية من التطور والرقي ، ودونت العلوم والمعارف المختلفة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري.

وتنوعت فروعها، وأصبح لكل فرع من أفرع الكتابة من يختص به ، ويتقن الكتابة فيه.

عوامل ازدهار الكتابة الديوانية:

ازدهرت الكتابة الديوانية في عهد بني العباس ازدهاراً كبيراً ، وبلغت حداً عالياً من الجودة ومستوىً رفيعاً في البلاغة.

ومما ساعد على رقيها وازدهارها:

١– أنها كانت تحظى بالاحترام والتقدير لدى عامة الناس وخاصتهم.

٢– أن الكتابة في الديوان كانت طريقاً إلى المناصب العليا.

٣– كثرة الدواوين، وتنافس الكتَّاب العاملين بها.

أشكال الكتابة الديوانية:أ– الرسائل الديوانية:

كان الخلفاء والولاة يختارون لدواوينهم كتَّاباً بارزين يحسنون تصريف القول بحنكة واقتدار، ولديهم ثقافة واسعة في ميدان الثقافة العامة، ومعرفة تامة في طرائق الكتابة وأساليبها، فكانت الكتابة في الديوان منزلة رفيعة ، يحرص الكتاب على تثقيف أنفسهم وتجويد كتاباتهم؛ ليحظوا بها.

كان كُتَّاب الرسائل يحرصون على أن يكون صدر الرسالة موائماً لشخصية من يُراد إرسالها إليه.

كما كان بعض الكُتَّاب يسير في الرسالة على منهج عصر صدر الإسلام من حيث الوضوح والإيجاز والدقة ، على حين سلك بعضهم مسلكاً آخر، فعمد إلى الإسهاب والاهتمام بالصناعة والازدواج والترادف.

أما فيما يتعلق بخواتيم الرسالة، فقد شاع اختتام الرسائل بالسلام أو بعبارة" إن شاء الله" أو" كتب فلان"أو الدعاء .

ب- التوقيعات:

التوقيع هو تعقيب موجز، كان يكتبه الخلفاء الراشدون على الرسائل الواردة إليهم من أفراد المسلمين أو من الولاة من البلدان، يردُّ فيه الخليفة بما يراه مناسباً .

وكانت التوقيعات تتصف بالبلاغة ووجازة التعبير ودقته.

فمن توقيعاتهم :" من صبر في الشدة شارك في النعمة".

ج- العهود:

العهد وثيقة رسمية تُعطى لتسلُّم منصب كبير في الدولة، أو لمزاولة عمل مهم فيها ، وهو أشبه ما يكون بدستور مصغر أو منهج مرسوم ، يستلهمه الموكل بأحد الأعمال في تسيير عمله.

وهناك نوع آخر من العهود وهو العهد بالأمان ، ومنه عهد الأمان للمدن والبلاد وأهلها، وكان كثيراً في فترة الفتوحات الإسلامية، ثم أصبح نادراً بعد توقف حركة الفتح.

الكتابة الإخوانية:

تشمل الكتابة الإخوانية الرسائل المتبادلة في محيط العلاقات الخاصة، والتي ليست لها صفة رسمية، وتدور حول العلاقات الاجتماعية والمشاعر الخاصة ، مثل المحبة والبغضاء والرضا والسخط وغير ذلك من العواطف والانفعالات الذاتية.

وفيما يلي نعرض لأهم أشكال الرسائل الإخوانية:

أشكال الرسائل الإخوانية:

أ- رسائل الشوق والمودة:

وهي الرسائل التي كان يرسلها الكتاب إلى إخوانهم وأصدقائهم الغائبين عنهم، يتحدثون فيها عما يعتلج في الصدور من شوق وحنين، وما يكنونه نحوهم من حب ومودة. ويعربون عن أملهم في اللقاء ، ودعائهم إلى الله سبحانه وتعالى أن يجمع الشمل.

ب- رسائل الدعوة:

كان الكُتَّاب يوجهون رسائل إلى الأصدقاء، يدعونهم فيها إلى زيارتهم ومشاركتهم أفراحهم وقد يدعونهم لحضور مأدبة، أو للسمر الذي يخالطه اللهو وسماع المغنيين، أو للشراب ، وقد تكون الدعوة لنزهة أو لرحلة.

ج- رسائل الإهداء:

اعتاد الناس في العصر العباسي أن يهدي بعضهم بعضاً هدايا مختلفة، كالأطعمة والزهور والورود وغير ذلك.

وكان بعضهم يرسل مع الهدية رسالة ، يصف فيها الشيء الذي يهديه، ويبين دلالته الرمزية.

د- رسائل التواصي:

التوصية رسالة يرسلها شخص إلى شخص آخر له جاه يشفع عنده لشخص ثالث في أمر من الأمور، أو في قضاء حاجة من حوائجه.

وكان هذا النوع من الرسائل مألوفاً في زمن العباسيين.

هـ - رسائل التهنئة:

كان الكتاب العباسيون يتبادلون رسائل التهاني مع أصدقائهم وأقاربهم في المناسبات السعيدة العامة والخاصة.

ومن هذه الرسائل: رسائل التهنئة بولاية الأعمال والمناصب والمراتب، أو التهنئة بسلامة القدوم، وغير ذلك.

و- رسائل التعزية والمواساة:

تدور رسائل التعزية - بوجه عام- حول الحث على الصبر والرضاء بقضاء الله، والدعوة إلى عدم إظهار الجزع على المصاب، والتذكير بما يلقاه الصابرون من الثواب عن فقدان الأحبة.

ز- رسائل المدح:

على الرغم من أن الكُتَّاب في العصر العباسي ، كتبوا قطعاً نثرية في المدح؛ فقد ظل المدح النثري لا يلقى رواجاً بالقياس إلى شعر المدح.

وكانت المعاني التي تعاورها الكتَّاب في رسائل المدح ، شبيهة بالمعاني التي تعاورها الشعراء في قصائد المدح، كالمدح بالكرم والشجاعة والمروءة ، ووصف الممدوح بالبلاغة، وغير ذلك.

ح- رسائل العتاب:

عندما كانت العلاقات بين الكتاب وإخوانهم وأصدقائهم ومعارفهم تتعرض لهزة أو لجفوة ؛ فمن الكتاب من كان يلجأ إلى العتاب ؛ لإزالة ما علق في النفوس من خلاف ، فيكتب إلى صديقه رسالة يبين له فيها وجه عتبه عليه ، ويُظهر له فيها أنه متمسكاً بصداقته وراعياً لحقه.

وكان يغلب على هذه الرسائل الإيجاز، وعدم الإطالة، والإكثار إلى التمثل بالشعر في ثناياها.

ط –رسائل الاعتذار:

كانت هذه الرسائل في العصر العباسي تسير على اتجاهين:

الأول: أن يعترف الكاتب بالذنب والتقصير، ومن ثمَّ يعمد إلى الاعتذار وطلب العفو والتسامح.

الثاني: أن يذكر الكاتب ما نسب إليه من ذنب أو تقصير أو زلة أو إساءة ، ومن ثمَّ يعمد إلى التنصل مما نسب إليه وتأكيد براءته بالحلف أو بالشواهد الدالة عليها، وتأكيد صدق ولائه ، وإثبات إخلاصه.

<u>المحاضرة الرابعة</u>

فنون النثر العباسي

(المواعظ والوصايا والمناظرات)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة:**
- **المواعظ:**
- **الوصايا:**
- **المناظرات:**

مقدمة:

تعد المواعظ والوصايا والمناظرات من فنون النثر الشفاهي كالخطب والحكم والأمثال.

وقد انتشرت هذه الفنون في العصر العباسي وساعد على انتشارها وجود علم الكلام الذي يعتمد على المناظرة والحجة والإقناع.

المواعظ:

توافد الوعاظ على قصور رجال الدولة، وألقوا على أسماع أصحابها مواعظ تبعث الوجل في القلوب والدمع في العيون، ولم يقتصر الأمر على وعظهم رجال الدولة، بل كانوا يعظون الناس في المساجد وغيرها من الأماكن التي يجتمع فيها الناس.

أقسام المواعظ:

أولاً- المواعظ العامة:

وهي التي تلقى في المساجد والساحات والمحافل العامة التي يحضرها جمهور كبير من الناس . وهي تعالج قضايا عامة ومشاكل لها حظ من الانتشار في المجتمع.

ثانياً- المواعظ الخاصة:

وهي التي تقال في الدور والقصور، وهي تعالج في الغالب قضايا ظلم الأقوياء للضعفاء، وسطوتهم على الآخرين، وإسرافهم على أنفسهم، ولهذا يكثر في المواعظ الخاصة الحديث عن العدل والحث عليه، والزجر عن الظلم واقتراف المعاصي.

أسباب ازدهار المواعظ في العصر العباسي:

زادت المواعظ في العصر العباسي زيادة بالغة ، للأسباب الآتية:

١- كان علماء الدين والزهاد والمصلحون يحاولون، كلما لاحظوا جنوحاً عن جادة الدين، أن يردوا الجانحين.

٢- حاول الوعاظ أن يبينوا للناس السبيل القويم، وتذكيرهم بأحكام الله، وضرب الأمثال، وذكر أخبار الأمم السالفة.

٣- اتخاذ بعض الخلفاء وعاظاً لهم من أهل التخصص .

٤- أخذ المتخصصون في الوعظ يجوبون شتى البقاع الإسلامية لوعظ الناس وإرشادهم.

مكونات الوعظ والإرشاد:

١- الاعتماد على الأدلة والبراهين والأقيسة المنطقية.

٢- الأسلوب الخطابي المؤثر.

٣- الاعتماد على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأقوال الصحابة وسيرهم العطرة، وأخبار السلف الصالح، وقصص الأمم البائدة وأشعار الزهد والوعظ.

الوصايا:

الوصية: هي تلك الكلمات البليغة التي يقولها بعض الأشخاص على هيئة نصيحة غير مُلزمة لمن يهمه أمرهم أو يعزُّون عليهم، كالأبناء والأصدقاء والتلاميذ وغيرهم.

أقسام الوصايا:

١- الوصايا الخاصة:

وهي التي تكون موجهة إلى شخص معين أو أشخاص معينين،وغالباً ما تتضمن توجيه النظر إلى محاسن الأخلاق، أو التركيز على مسلك من مسالك الحياة، أو تقديم تعليمات وتوجيهات تتعلق بعمل من الأعمال.

٢- الوصايا العامة:

وتكون موجهة إلى فئة من الناس كالكتاب والطلاب وغيرهم، أو موجهة إلى الناس بوجه عام، وهي تتضمن نصائح دينية أو نصائح دنيوية ، وقد تجمع بين النصائح الدينية والدنيوية.

أسلوب الوصايا:

١- الاعتماد على الإيجاز والتركيز.

٢- السهولة والوضوح.

٣- كثرة استخدام الأساليب الطلبية(أمر – نهي – استفهام).

المناظرات:

فن من فنون النثر في العصر العباسي، وهو تطور للمنافرات والمفاخرات.

وهو فن يقوم على الاحتجاج والجدال، وقد كثر في مجالس المأمون والمعتصم والواثق، أي في الفترة التي شهدت تعاظم نفوذ فرقة المعتزلة.

أنواع المناظرات:

١- المناظرات الفقهية.

٢- المناظرات الفلسفية.

٣- المناظرات العقدية.

٤- المناظرات الأدبية.

٥- المناظرات اللغوية.

طرق المناظرة للتغلب على الخصوم:

أولاً- طريقة المُحاجة:

وتقوم على مقارعة الحجة بالحجة، وذكر الأدلة والبراهين التي تؤيد وجهة نظر المتحدث، ويكثر على هذه الطريقة استخدام البراهين العقلية والنقلية، والقياسات المنطقية .

وهذه الطريقة شاعت في المناظرات الفقهية واللغوية.

ثانياً- طريقة الالتزام:

وتقوم على البراعة في المساءلة أو البراعة في الرد، إذ يعمد أحد الخصمين إلى أسئلة تهدف إلى إلزام الخصم الآخر من خلال إجابته.

وقد شاعت هذه الطريقة في مناظرات الفلاسفة والمتكلمين.

ثالثاً- طريقة التحسين والتقبيح:

يعمد الذين يستخدمونها إلى الموازنة بين شيئين، أحدهما حسن والآخر قبيح، فيذكرون مساوئ الأمر الحسن وسلبياته، ويذكرون محاسن الأمر القبيح وإيجابياته، حتى يصلوا إلى تفضيل الحسن على القبيح.

وهذه الطريقة لا تعتمد على المنطق الصحيح، بل تقوم على المغالطة ، وقد شاعت بين الأدباء ، فظهرت رسائل في تفضيل الكذب على الصدق، وتفضيل البخل على الكرم ، وتفضيل النسيان على التذكر،...

<u>المحاضرة الخامسة</u>

فنون النثر العباسي

(الأمثال والحكم)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **الأمثال.**
- **الحكم.**

مقدمة حول الأمثال:

المثل قول موجز ، سائر على ألسنة الناس، وارد في حادثة واقعية أو خيالية أو عمل أدبي، أو مستمد من ملاحظة في البيئة، وهذا القول يؤتى به مع المحافظة على لفظه في حالة تُشبه الحالة الأولى التي ورد فيها .

ومن أشهر الذين ألَّفوا كتباً في الأمثال في العصر العباسي: أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ)، والمفضل الضبي(ت١٧٠هـ)،وأبو عبيدة مَعْمر بن المثنى(ت٢١٠هـ)، وغيرهم.

الأمثال: (الأمثال المنسوبة):

تشتمل الأمثال المنسوبة على الأمثال التي نعرف قائلها من أعلام العصر العباسي، والشخصيات التي اشتهرت بصفات محبوبة أو مكروهة، والأشياء والحوادث المشهورة التي جرت مجرى الأمثال.

١- أمثال قالها أعلام العصر:

هذه الأمثال وردت على ألسنة أعلام الأدب والفكر والسياسة ، ورزقت حظاً من الانتشار، فأصبحت متداولة على ألسنة الناس، وفيما يلي بعضاً من هذه الأمثال:

نماذج للأمثال المنسوبة لقائليها:

-(لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد):

قائل هذا المثل هو أبو مسلم عبد الرحمن أبو مسلم الخراساني(ت١٣٧هـ).

وهذا المثل أحد توقيعات أبي مسلم وقد كتبه لعامل مدينة بَلْخ.

يُضرب هذا المثل في الحث على المبادرة إلى أداء الواجبات في حينها؛ لكيلا تتراكم الأعمال.

وهذا المثل يدل على يقظة أبي مسلم وحسن تدبيره، وأن من واجبات المسؤول توجيه مرؤوسيه إلى ما فيه المصلحة.

-قد ضل من كانت العميان تهديه:

قائل هذا المثل هو بشار بن برد(ت١٦٧هـ)الشاعر العباسي، وقد كان أعمى ، فجاءه رجل يسأله عن مكان فوصفه له وصفاً دقيقاً ، ومضى الرجل، وما لبث أن عاد ثانية يسأله عن المكان ، فأخذ بشار بيده ، وقاده إلى المكان، وهو يقول:

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم قد ضل من كانت العميان تهديه

يضرب لمن يستعين بمن هم أقل منه حيلة.

الأمثال غير المنسوبة:

هي الأمثال التي لم نعرف قائلها؛ لأنها غير منسوبة إلى أشخاص معينين، ولكن يغلب على ظننا أنها قيلت في العصر العباسي.

ومن هذه الأمثال:

-غُبار العمل خير من زعفران العطلة.

-الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام.

خصائص الأمثال العباسية:

١- اختصاص كل طبقة من طبقات المجتمع بطائفة من الأمثال ، تروَّج بين أفرادها، فيكثرون من استخدامها وترددها.

٢- إنها أمثال حقيقية أي أن موردها – وهو الحالة التي قيل فيها أول مرة – حدث في الوجود بالفعل وليست أمثالاً فرضية.

٣- تتميز الأمثال غير المنسوبة بالسهولة وكثرة العامية فيها؛ لذا لا تسلم من الأخطاء اللغوية.

٤- يغلب على الأمثال العباسية الإيقاع الموسيقي.

٥- تكثر فيها الاستعارات.

الحكم:

الحكم أقوال من جوامع الكلم ، تعبر عن موقف من الحياة والناس ، وتشتمل على توجيه وإرشاد إلى ما فيه الصلاح في القول والعمل.

تشترك الحكمة مع المثل في الإيجاز في القول، وأن كلاً منهما يعتمد على المشافهة لا الكتابة ، غير أن المثل أوسع في الانتشار.

نماذج للحكم العباسية:

من الحكم المأثورة عن العباس السفاح قوله:

" إذا عظمت القدرة فلَّت الشهوة ".

وقوله:" إن من أدنياء الناس ووضعائهم من عَد البخل حزماً والحلم ذلاً ".

ومن أقوال المنصور: " إذا مد عدوك إليك يده فاقطعها إن أمكنك، وإلا فقبلها".

ومن أقوال المأمون: " أظلم الناس لنفسه من يتقرب إلى من يبعده، ويتواضع لمن لا يكرمه، ويَقبل مدح من لا يعرفه".

ومن الحكم الدينية:

قول ابن المقفع:" المغبون من طلب الدنيا بعمل الآخرة".

-وقوله:" عمل البر خير صاحب".

-وقول ابن المعتز:" طلاق الدنيا مهر الجنة".

-وقول أبي بكر الخوارزمي:" ظاهر التقوى شرف الدنيا، وباطنها شرف الآخرة".

خصائص الحكم العباسية وسماتها:

١- الحكم العباسية مستمدة من تجارب وخبرات الحياة.

٢- تعتمد الحكم العباسية المأثورة على الإيجاز في التعبير.

٣- اتسمت الحكم العباسية بالسهولة في الأداء والتعبير، وحسن الصياغة والألفاظ المألوفة والصور البيانية ، وضروب البديع ، وعمق الفكرة ، ونبل المقصد.

<u>المحاضرة السادسة</u>

فنون النثر العباسي

(القصص والمقامات)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **أنواع القصص العباسية.**
- **المقامات: (تعريفها- نشأتها- مقامات الهمذاني(مضامينها فنيتها)- المقامات الأندلسية).**

مقدمة:

فن القصص من الفنون العريقة في الأدب العربي؛ فقد ظهرت منذ العصر الجاهلي ألوان عديدة من هذا الفن.

وفي العصر العباسي قد حفل بفيض زاخر من القصص المتعددة الأنواع.

أنواع القصص العباسية:

١- القصص الهزلية:

تشتمل القصص الهزلية على أقاصيص الفشر، والقصص النمطية، والقصص الفاكهية،وهي:

-قصص الفشر: وهي أقاصيص قصيرة تدور حول أكذوبة يختلقها الراوي – القاص- بقصد التسلية والإضحاك.

-النوادر" القصص النمطية": المقصود بالنادرة هنا هي الحكاية التي تروى عن شخص من الأشخاص على أنها واقعة طريفة حدثت له.

٢- قصص الحب:

كثرت هذه القصص وتنوعت ، ولم تعد تعتمد على الرواية الشفهية اعتماداً أساسياً، فقد دونت قصص الحب في الكتب، وظهرت مؤلفات عديدة زاخرة بهذا النوع من القصص.

٣- قصص الحيوان:

كان بعض قصص الحيوان مترجماً من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ، وبعضها مؤلفاً باللغة العربية.

ولعل أشهر القصص المترجمة كتاب كليلة ودمنة.

ويعد كتاب الحيوان للجاحظ من العلامات البارزة في هذا المجال.

٤-قصص الجن:

وهي القصص التي للجن والشياطين الدور الأساسي فيها، وتم توظيف هذا الدور لخدمة فكرة يريد القاص توصيلها إلى الناس.

٥- قصص العالم العلوي:

كانت قصص الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم، وفي الأحاديث الشريفة، وروايات المحدِّثين مصدراً استلهم منه بعض الكتَّاب قصصاً فنية ممتعة.

المقامات:(تعريفها):

المقامة في اللغة تعني المجلس أو النادي أو الجماعة من الناس، وظلت هذه الكلمة تستخدم في الشعر والنثر بهذا المعنى، حتى القرن الرابع الهجري، إذ اكتسبت معنى اصطلاحياً،على يدي بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ).

والمقامات اصطلاحاً: قصص قصيرة تدور حول شخصيات نمطية من أصحاب الكُدية غالباً ، وتعمد إلى فن الإضحاك من تصرفات تلك الشخصيات وحيلها وأقوالها، بهدف الإضحاك أو السخرية أو النقد الاجتماعي أو النقد الأدبي أو الموعظة أو غير ذلك.

نشأتها:

اختلف الدارسون في نشأة المقامات، وأشار بعضهم إلى أحاديث ابن دريد(ت٣٢١هـ)، وإلى رسائل ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، وقيل إن هذه الرسائل وتلك الأحاديث هي النشأة الحقيقية للمقامات.

مقامات الهمذاني : مضامينها وأهدافها:

لقد صاغ بديع الزمان مقاماته في قالب فني قصصي، متنوع الأفكار والمضامين؛ فبعض المقامات له مضمون اجتماعي، وبعضها له مضمون أدبي نقدي،وبعضها له مضمون فكري فلسفي، وبعضها له مضمون وصفي.

فنية مقامات الهمذاني:

أما من حيث الجانب الفني للمقامات ، فإن المقامة نوع من أنواع القصة القصيرة، لكن المقامة تمتاز على القصة القصيرة بأنها صيغت في أسلوب أنيق ،ألفاظه رشيقة منتقاة، وعباراته ساحرة آسرة بجمالها، وجمله مسجوعة سجعاً غير متكلف في الغالب. وفيه بعض المجازات والصور البيانية المشرقة، وفيه كثير من الأمثال السائرة والآيات الكريمة والرموز التراثية وأبيات الشعر.

وقد تكاملت عناصر القصة في مقامات الهمذاني ، كما نلمح فيها عناصر المسرحية..

المقامات الأندلسية:

انتشرت مقامات بديع الزمان في الأندلس أيام ملوك الطوائف، فأعجب بها الأندلسيون، وبادروا إلى تقليدها.

ولما ظهرت مقامات الحريري انتشرت في الأندلس انتشاراً واسعاً ، واشتهرت فيها أكثر من اشتهار مقامات بديع الزمان.

ومما تقدم نرى أن أدباء الأندلس قد تأثروا بمقامات بديع الزمان الهمذاني ، ومقامات الحريري.

<u>المحاضرة السابعة</u>

أعلام النثر العباسي (ابن المقفع)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **اسمه ولقبه وكنيته ومولده ووفاته:**
- **ثقافته وأخلاقه وفكره:**
- **العوامل المؤثرة في شخصيته وأدبه:**
- **آراء القدامى فيه:**
- **آثاره:**
- **أسلوبه:**
- **نماذج من كتاب " كليلة ودمنه":**

مقدمة:

وقفنا في المحاضرات السابقة على مفهوم النثر العباسي وأنواعه ، وتناولنا بعض هذه الأنواع .

وتحاول بعض المحاضرات الوقوف على أعلام النثر العباسي ، وتكون البداية في هذا اللقاء بابن المقفع.

اسمه ولقبه وكنيته ومولده ووفاته:

اسمه : روزبة قبل إسلامه وعبد الله بعد إسلامه.

لقبه: ابن المقفع نسبة إلى أبيه عامل الخراج الذي يقال ضُرب حتى تقفعت يده.

كنيته: أبو عمرو، أو محمد بعد أن أسلم.

مولده: ولد في قرية جور بالقرب من شيراز سنة ١٠٦هـ.

أبوه : داذويه كان والياً في بلاد فارس، يقال إنه تلاعب بأموال الخراج وأنفق قسماً كبيراً منها على أعوانه فأدبه الحاكم بضربه على يديه حتى تقفعتا.

مقتله: تذكر المصادر أنه مات شاباً ، واختلفت في سبب وفاته ؛ فيقال إن ابن المقفع كان يتهم في دينه ويرمى بالزندقة ، التي كانت سبباً في مقتله.

ثقافته:

يعد ابن المقفع أديباً ومفكراً ومصلحاً اجتماعياً تمثلت فيه المعادلة العربية والفارسية تمثلاً جميلاً . فلقد اغترف من معين الثقافة الفارسية وأشبع بها ذهنه.وقد استفاد كثيراً من نزوله البصرة إذ كانت لعهده أبرز مدينة للأدب واللغة والثقافة في العالم الإسلامي. وفيها نجوم مشهود لهم بالنبوغ وفي مربدها تناظر الشعراء واللغويون.

فقد نال ابن المقفع حظاً وافراً من العلم،إذ كان واسع الاطلاع على العلوم المختلفة،واللغات المتعددة ، فقد أتقن منها: الفارسية والعربية واليونانية،وتعدى إتقانه لها إلى الترجمة.

فهو مترجم، شاعر، لغوي، فيلسوف، سياسي،عالم بأسرار اللغات التي عرفها، وهو أول من ترجم كثيراً من كتب أرسطو في المنطق والجدل والقياس والمقولات.

أخلاقه:

كان ابن المقفع مع – زندقته– نبيل الخلق وقوراً يترفع عن الدنيا ولا يجعل للهوى سلطاناً على عقله، وكان يأخذ نفسه بكل ما يمكن من خصال المروءة والشعور بالكرامة

فكره:

يتجلى ابن المقفع لقارئه المتقصي: رجل فكر وصاحب رأي وحامل رسالة، فضلاً عن كونه أديباً وكاتباً، وشاعراً، ويمكن أن نستجلي في فكر ابن المقفع ملامح مميزة منها:

١- إجلال العقل: حرص ابن المقفع أن يجعل العقل في المقام الأول، فالعقل لديه أفضل من كل شيء

٢- الاعتدال: ابن المقفع بطبيعة مزاجه وإيثاره للحكمة وللعقل ونفوره من الحدة والتطرف إنما كان ممن يجنحون للتوسط والاعتدال ، سواء في حياته أو في آرائه.

٣- رياضة النفس: لطالما نادى بضرورة كبح جماح النفس وكسر حدة غرائزها ونزواتها.

٤- المثالية: بوسع أي مُطَّلع على ما كتبه ابن المقفع أن يلمس بوضوح مثالية الفكر وسمو الغاية ونبل المقصد. فهذا الكاتب داعية كبير إلى الفضيلة وحسن الخلق ودماثة الطبع ورقة الحاشية.

العوامل المؤثرة في شخصيته وأدبه:

من أهم الأحداث التي أثرت في شخصيته وأدبه:

١- نشأته في بلاد فارس.

٢- انتقاله مع والده إلى البصرة مركز العلم والعلماء.

٣- إتقانه اللغة الفارسية ومعرفته الهندية واليونانية.

٤- إتقانه اللغة العربية، ومعرفة أسرارها، وعمق دلالتها.

٥- مجالسته للعلماء والأدباء، وحرصه على ارتياد مجالس العلم في المساجد.

٦- اتصاله بالأمراء الأمويين والعباسيين.

٧- إسلامه.

٨- وفاؤه لأصدقائه، وافتداؤه عبد الحميد الكاتب بنفسه.

٩- ترجمة بعض الكتب، وتأليف الكتب والرسائل.

آراء القدامى فيه:

الخليل بن أحمد الفراهيدي:" يراه رجلاً علمه أكثر من عقله ".

قال الجاحظ:"كان عبد الحميد الأكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يُذكر مثله"

قال ابن عبد ربه: " كان ابن المقفع ممن نَبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها".

قال الذهبي: " كان ابن المقفع أحد المشهورين بالكتابة والبلاغة والترسل والبراعة ".

قال الصفدي:" كان ابن المقفع أديباً فاضلاً شاعراً بارعاً في الفصاحة والبلاغة متحققاً بنحو ولغة ".

آثاره :أ- (مؤلفاته):

١- الأدب الكبير.

٢- الأدب الصغير.

٣- رسالة الصحابة.

٤- الأدب الوجيز.

٥- الدرة اليتيمة.

ب- الكتب المترجمة:

١- كليلة ودمنة.

٢- كتاب مزدك ، وهو نوع من الأمثال.

٣- كتاب التاج في سيرة ابن شروان.

وله ترجمات أخرى.

أسلوبه:

من سمات أسلوب ابن المقفع:

١- الأسلوب سهل طيع.

٢- وضوح الأسلوب.

٣- يزهد ابن المقفع في الصنعة والتأنق.

٤- الإيجاز ملمح من ملامح أسلوب ابن المقفع.

٥- الكتابة في نظره جد ورسالة وليست تسلية.

٦- توخي الألفاظ والعبارات التي تكفل تأدية الغرض وتجلية القصد.

٧- عباراته تخرج من العقل ، وتنبثق من التجربة.

نماذج من كتاب " كليلة ودمنه":

باب الأسد والثور ، يتضمن عشرين حكاية، منها:

١- مَثل التاجر وبنيه.

٢- مَثل الرجل الهارب من الموت.

٣- مَثل القرد والنجار.

٤- مَثل الثعلب والطبل.

٥- مَثل الناسك واللص.

٦- مَثل الغراب الأسود والثعبان.

٧- مَثل الأرنب والأسد.

٨- مَثل الذئب والغراب.

٩- مَثل القرود والطائر والرجل.

<u>المحاضرة الثامنة</u>

أعلام النثر العباسي

(سهل بن هارون)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **اسمه ومولده:**
- **نشأته وحياته:**
- **وفاته:**
- **بخله وأسباب إعجاب سهل بن هارون بالبخل**

مقدمة:

بعد أن تناولنا في المحاضرة السابقة علم من أعلام النثر في العصر العباسي ، وهو " ابن المقفع " ، تحاول هذه المحاضرة إلقاء الضوء على علم آخر من أعلام النثر العباسي ، ألا وهو: سهل بن هارون.

اسمه ومولده:

اسمه: سهل بن هارون بن راهيون، ويكنى أبا عمرو.

مولده: لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، ولكنها أشارت إلى أن سهل بن هارون من أهل نيسابور، مما يرجح أنه ولد فيها، فهو فارسي الأصل من الذين دخلوا في الحياة العربية بالاستعراب . ويُعتقد أنه ولد نحو منتصف القرن الثاني الهجري.

نشأته وحياته:

ضنت المصادر علينا بأخبار نشأته وحياته، إلا بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناك في ثناياها.
ويبدو أنه انتقل إلى البصرة في مرحلة مبكرة من حياته .
وأخذ ينهل من الثقافات المنتشرة في البصرة في المدارس والمساجد والحلقات والمجالس ....
أتقن العربية ، وعرف أسرارها ، وسبر أغوارها، وهذا دفعه إلى ترجمة بعض الرسائل عن لغته الأم (الفارسية) التي كان يتقنها تماماً .
استغل سهل علاقته بالبرامكة فعقد صداقة حميمة مع الحسن بن سهل ، وزادت هذه الصداقة بعد نكبة البرامكة ، فقدم الفضل
(مدير شؤون المأمون) سهلاً إلى المأمون ، فأعجب ببلاغته وعقله ، وجعله كاتباً في خزانة الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي نقلت إلى المأمون من جزيرة قبرص ، فاغتبط بها المأمون ، وأمر العلماء بتعريبها، وجعل سهل بن هارون خازناً لها، فتصفحها، ونسج على منوالها كتب منها.
وفاته:
وفاته:
ظل سهل بن هارون يؤلف إلى أن توفي سنة خمس عشرة ومائتين.
بخله:
أجمعت المصادر على أن سهل بن هارون كان نهاية في البخل . وله في ذلك حكايات كثيرة.
وكان يدافع عن البخل ، ويعجب به، وهذا ما دفعه إلى تأليف كتاب يمدح فيه البخل، ويذم الجود، ليُظهر مقدرته وقدرته على البلاغة، وأهداه إلى الحسن بن سهل في وزارته للمأمون، فوقع عليه: " لقد مدحت ما ذمه الله، وحسَّنت ما قبَّح الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناه، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه، فما نعطيك شيئاً.
وكتب سهل إلى المهدي رسالة يمدح فيها البخل، فقال له المهدي: بئس الشيء مدحت، وقد أخذنا بقولك فيك فحرمناك.
ويحكى عنه أن رجلاً لقيه، فقال له: هب لي ما لا ضرر به عليك، فقال: وما هو يا أخي؟ قال: درهم، قال: لقد هونت الدراهم، وهو طائع الله في أرضه الذي لا يعصي، وهو عشر العشرة، والعشرة عشر المئة، و المئة عشر الألف، والألف عشر دية المسلم ؛ ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم الذي هونته؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟ فانصرف الرجل، ولولا انصرافه لم يسكت.
أسباب إعجاب سهل بن هارون بالبخل:

إن ظاهرة البخل هذه عند سهل بن هارون ظاهرة تستحق المناقشة، لأنها نتجت عن قضية خطيرة، وهي أن سهلاً كان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب وينتقصهم ، بل يبغضهم.

ولما كان البخل نقيض الكرم، والعرب يتباهون به، فإن دفاع سهل عن البخل يفسر لنا مدى بغضه للعرب، ويوضح الاتجاهات المتنافسة بين التيارين: العربي والفارسي.

ولعل هذا التضارب، وهو الذي دفع الجاحظ إلى تأليف كتابه البخلاء، أما كتابه البيان والتبيين فهو الذي دافع فيه عن العرب ودحض آراء الشعوبية.

رأي سهل بن هارون في المأمون:

كان سهل بن هارون معجباً ببلاغة المأمون الخليفة، يقول فيه: لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين.

وقد دخل على الرشيد، وهو يضاحك المأمون، فقال: اللهم زده من الخيرات، وابسط له من البركات، حتى يكون في كل يوم من أيامه مُرْبِياً على أمسه، مقَصِّراً عن غده.

وكان سهل شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة، وبالحلاوة والفخامة، وجودة اللهجة والطلاوة.

آثاره:

خلَّف لنا سهل بن هارون كثيراً من المؤلفات، ولكن لم يصل إلينا منها أي مؤلف، سوى ما ذكرته بعض المصادر في ثناياها من مقتطفات من رسائله وأقواله.

وهذا سرد بأسماء كتبه:

١- كتاب ديوان الرسائل.

٢- كتاب النَّمِر والثعلب.

٣- كتاب أسباسيوس في اتخاذ الإخوان.

٤- كتاب أسل بن أسل.

٥- كتاب شجرة العقل.

٦- كتاب تدبير الملك والسياسة.

٧- كتاب إلى عيسى بن إبان في القضاء.

٨- كتاب الضرس.

٩- كتاب الغزلين.

١٠- كتاب الهزلية والمخزومي.

١١- كتاب الضرتين.

١٢- كتاب الوامق والعذراء.

رأي القدماء في سهل بن هارون:

يقول عنه الجاحظ:

" من الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار، والكتب الكبار المخلدة، والسير الحسان المدونة، والأخبار المولدة...". ويقول عنه الجاحظ أيضاً:" كان سهل في نفسه عتيق الوجه(جميلاً)، حسن الإشارة، معتدل القامة ، مقبول الصورة.

ويقول عنه ابن النديم:

" كان سهل حكيماً فصيحاً شاعراً أديباً، فارسي الأصل، شعوبي المذهب، شديد التعصب على العرب...".

ويقول أبو إسحاق إبراهيم الحصري:

" سهل ظريف عالم حسن البيان، وله كتب ظريفة صنعها معارضاً للأوائل في كتبهم....".

ويقول ابن نباته المصري:

" انفرد سهل في زمانه بالبلاغة والحكمة، وصنف الكتب الحسنة معارضاً بها كتب الأوائل....".

من حكم سهل بن هارون:

يقول سهل في البلاغة: " سياسة البلاغة أشد من البلاغة، كما أن التوقي على الدواء أشد من الدواء".

ويقول في القلم: " القلم لسان الضمير، إذا رعف أعلن أسراره، وأبان أثاره".

ويقول في الكتابة: " هي أول زينة الدنيا التي إليها يتناهى الفضل، وعندها تقف الرغبة".

حول سهل بن هارون:

استغل الكثير من الفرس الحرية التي أُعطوها من قِبل الخلفاء العباسيين ؛ فجهروا بما كانوا يخفون من الانحرافات الاجتماعية والخلقية وبكثير من عقائد الزندقة والإلحاد، فجعلت ألسنتهم تنطلق بالنيل من العرب، والتهوين من أمرهم وشانهم، والدعوة إلى إحياء دولة الفرس وبسط سلطانهم؛ وفي مقدمة هؤلاء : سهل بن هارون وغيره من الجيل الذي تربى في أحضان العرب والمسلمين

وراح يكيد سراً للعرب والمسلمين، وكثيراً منهم كان يخفي مجوسيته ويتظاهر بالإسلام. وهؤلاء الذين يُسمون المحدثين أو المولدين.

المحاضرة التاسعة

أعلام النثر العباسي

(الجاحظ)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **اسمه وكنيته ولقبه، وأصله، ومولده.**
- **حياته ومرضه وموته.**
- **من أقوال الجاحظ.**
- **رأي بعض القدماء فيه.**
- **فكر الجاحظ وشخصيته.**
- **مؤلفاته.**
- **أسلوبه من خلال كتاب البخلاء.**

مقدمة:

كانت البصرة – مدينة الجاحظ – حاضرة العلم والتجارة ، وارتفع شأنها بفضل سوق المربد، حتى غدت عكاظ الإسلام. فكانت ملتقى التجارة واللغويين والشعراء والمتكلمين وسائر رجال الفكر والقلم وذوي الثقافة والمعرفة.

وقد أصبحت لهذه المدينة شخصيتها المنفردة من الناحية العلمية، بحيث غدا من مقوماتها النزعة الواقعية وإيثار المنحى المنطقي في معالجة الأمور والأخذ بمبدأ القياس في الاجتهاد والرأي.

كل هذا انعكس على شخصية " الجاحظ " الذي نحن بصدد الحديث عنه.

اسمه وكتبه ولقبه:

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني.

كنيته:" أبو عثمان ".

لقبه: "الجاحظ"، ولقب بذلك ؛ لأن عينيه كانتا جاحظتين.

أصله ومولده:

أصله: أختلف في أصله، فهناك من يقول إنه عربي خالص النسب، وهناك من يقول إنه كناني بالولاء.

مولده: قد أختلف في تاريخ ولادته، ولكن الدارسين يكادون يتفقون على أنه ولد في حدود سنة(١٥٠هـ) في البصرة.

حياته:

يبدو أن الحياة الاجتماعية المحيطة بالجاحظ كانت صعبة، والأصعب منها ظروفه الخاصة ؛ فقد كان يعاني الفقر المدقع، فاضطر إلى أن يبيع الخبز والسمك، ولم يحل هذا دون متابعته للتحصيل العلمي، فقد كان يتردد على مربد البصرة يأخذ عن العرب شفاهاً، وأولع بالقراءة، وكان داهية في قوة الحفظ.

ولم يترك الجاحظ فرصة تفوته في مخالطة العلماء ، فقد أخذ اللغة والأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن الأخفش ، وأخذ الكلام عن النظام.

وأخذ الجاحظ ينهل من الثقافات غير العربية ، من: يونانية وتركية وفارسية،...

ولكننا نرى أن الجاحظ بعد الفقر الذي كان فيه قد حصل الأموال، وبني البيوت، وامتلك الأراضي واقتنى العبيد، وأخذ يتصل بالوزراء ، ويتنقل في البلاد، فيعيش في بغداد زمناً ويرحل إلى دمشق وأنطاكية، كل هذا أورثه معرفة بطبائع الناس وأخلاقهم، كما زاد من ثقافته.

والجدير بالذكر أن الجاحظ عاصر كثيراً من الخلفاء .

مرضه وموته:

تذكر الروايات أن الجاحظ أصيب بمرضين متناقضين هما: الفالج والنقرس.

وقد توفي الجاحظ سنة خمس وخمسين ومائتين.

من أقوال الجاحظ:

يوصي الكتاب ، قائلاً: " ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام، عذب ينابيعه، إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى".

يوصي العلماء والأدباء قائلاً:" لا تكلم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة ".

يقول في وصف اللسان:" هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم بفصل الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء،..."

رأي بعض القدماء فيه:

يقول المرزباني:" كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النَّظام، وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا،...."

ويقول ثابت بن قُرَّة " ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس: الأول- عمر بن الخطاب في سياسته،....والثاني- الحسن البصري في علمه،...والثالث- الجاحظ في بيانه ، فقد كان خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين،....

ويبين المسعودي أهمية كتب الجاحظ ويصف بيانه فيها، قائلاً:" وكتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأن نظَّمها أحسن نظم، ووصفها أحسن وصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ.....".

ويقول الخطيب البغدادي:" الجاحظ هو المصنف الحسن الكلام البديع التصانيف، وهو أحد شيوخ المعتزلة.

ويقول شمس الدين الذهبي:"هو العلامة المتبحر، ذو الفنون، صاحب التصانيف الكثيرة، كان من بحور العلم.

ويقول ابن نباته المصري:"لم يزل عزيز الجانب، موفور المال والجاه، وله أخبار ظريفة كثيرة، ونثر طائل، وهو إمام الفصحاء والمتكلمين، الذي ملأت الآفاق أخباره وفوائده".

فكر الجاحظ وشخصيته:

١- الثقافة الواسعة:

الثقافة الواسعة لدى الجاحظ في طليعة سماته المميزة ومن أهم مقومات شخصيته وفكره. ولعل هذا ما منحه الكثير من الثقة وجعله يشعر بنوع من السمو العقلي.

٢- فكره المستنير:

وفكره المستنير جعله يتخذ مواقف رافضة تجاه الزيف والانحراف والتضليل.وقد قاده هذا المنحى الفكري إلى تحكيم العقل والمنطق في كل ما يرى

٣- التحرر من القيود:

حرر الجاحظ نفسه من كثير من القيود حتى لا يصرفه شيء عن عالم الفكر والتأليف، فقد رفض قيد العمل الوظيفي في كنف البلاط فضلاً عن أنه لم يرتبط بزواج ولا أسرة، وأخذ يتقرب من الأعلام إلى أن غدا الجاحظ في عداد أعلام الفكر وأقطاب الاعتزال في عصره.

واستطاع خلال اعتزاله أن ينفذ إلى تأليف مجموعة من الآراء تعصبت لها طائفة من المعتزلة سميت باسم الجاحظية.

٤- تحكيم العقل والمنطق:

يضع الجاحظ كل ما يسمعه من أخبار على محك العقل السليم والمنطق السليم أيضا، فلا تقنعه الأخبار التي لا يحكمها العقل السليم والمنطق السليم.

٥- الشك وسيلة إلى اليقين:

الحقيقة ضالة الجاحظ، فهو دائب التحري عنها. ولا يغير من طبيعة الأمر شيئاً أن يصدر الخبر عن رجل نابه الشأن ولو كان صاحب المنطق نفسه. والجاحظ كان يشك في بعض ما أورده أرسطو فيعمد إلى رده ودفعه دون أن يجد في ذلك حرجاً برغم الهالة التي كانت تحيط بذلك الفيلسوف في إبان القرون الوسطى.

٦- الاختبار والتجريب:

قد وجد الجاحظ في دنيا الحيوان مجالاً واسعاً للتجريب أشبع من خلاله نهمه العلمي .

فقد طال الوقوف عند الضباب وأنواعها وتعداد غرائب صفاتها

و خصائصها.

٧- انشراح الصدر وحب الحياة:

من طبع الجاحظ انشراح الصدر وحب الحياة، ومن مزاجه المرح: النكتة وخفة الدم. فلا يحب الانطواء على الذات ولا الاكتئاب ولا الغفلة ؛ لأنه سريع الفهم حاد الذكاء.

٨- كان شديداً في تحمل الأعباء، صبوراً على المكاره، طموحاً إلى أبعد الحدود.

٩- كان الجاحظ مصدر حب ومهابة. يحبه الناس لأنهم ينتفعون به ، ويخشونه .

مؤلفاته:

شملت كتب الجاحظ الأدب والسياسة والأخلاق والدين والصناعة والزراعة والكيمياء والفلسفة وسائر فنون القول والفكر، ومن بعض كتبه:

١- البخلاء.

٢- البيان والتبيين.

٣- التربيع والتدوير.

٤- الفرق في اللغة.

٥- رسالة في القلم.

٦- رسالة في الميراث.

٧- المعارف.

٨- المسائل.

٩- الرد على اليهود.

١٠- تحصين الأموال.

١١- تهذيب الأخلاق.

١٢- الرسالة اليتيمة.

١٣- كتاب المعلمين.

أسلوب الجاحظ من خلال كتاب البخلاء:

١- قصص البخلاء جاءت متماسكة .

٢- موضوع البخل قبيح مهين تحول على يد الجاحظ إلى فن جميل رائع.

٣- غاص الجاحظ إلى أعماق نفوس شخصياته.

٤- رسم لنا نماذج متناقضة.

٥- بفنه البديع حبب الجاحظ إلى القراء البخلاء، فأكثرهم ظرفاء وأذكياء، وبعضهم مثقفون وأذكياء.

٦- أرسى قواعد الإنشاء العربي على أنماط حية جميلة وسهلة.

٧- الجاحظ هو أول أديب شمولي في العربية.

٨- جاء أدب الجاحظ في البخلاء مبطناً بسخرية لطيفة وعميقة.

٩- عرض لنا الجاحظ كتاب البخلاء الأدبي بأسلوب علمي تسوده المعرفة وتجلوه الثقافة السائرة على طريق العقل ونسف المنطق.

١٠- في البخلاء فتح جديد للإبداع الفني المسرحي.

<u>المحاضرة العاشرة</u>

من أعلام النثر العباسي

(ابن قتيبة – ابن العميد)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **ابن قتيبة: حياته ونشأته.**
- **مؤلفاته.**
- **كتاب عيون الأخبار.**
- **ابن العميد: حياته ونشأته.**
- **ثقافته وحكمه وأسلوبه.**
- **رأي القدماء فيه.**

مقدمة:

وقفنا في المحاضرة السابقة على علم من أعلام النثر العباسي ألا وهو الجاحظ .

عرضنا لحياته ونشأته ومؤلفاته ورأي القدماء فيه،.....

ونحاول في هذه المحاضرة أن نعرض لعلمين من أعلام النثر العباسي ، وهما: ابن قتيبة،وابن العميد

حياته ونشأته:

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد سنة ٢١٣هـ ببغداد وقيل بالكوفة، أصله فارسي.

ذهب في صباه إلى الكتَّاب فحفظ شيئاً من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار وشيئاً من الفقه والنحو والحساب.

ثم أخذ يتردد على المساجد يأخذ عن علمائها كل ما عندهم من علوم الشريعة واللغة والحديث .

عكف على المترجمات يقرأ فيها ويستوعب. لمع اسمه في بيئة الفقهاء فتولى القضاء.وعمل في التدريس والتعليم حتى توفي سنة ٢٧٦هـ.

مؤلفاته:

لابن قتيبة مؤلفات كثيرة منها:

١- مشكل القرآن.

٢- تأويل مختلف الحديث.

٣- دلائل النبوة.

٤- غريب القرآن.

٥- كتاب الأشربة.

٦- كتاب الشعر والشعراء.

٧- كتاب أدب الكاتب.

أكبر مؤلف أدبي:

يعد ابن قتيبة أكبر مؤلف أدبي ظهر في العصر العباسي بعد الجاحظ ، ويتضح هذا في مقدمته لكتاب الشعر والشعراء إذ نراه يعلن أنه لن ينظر إلى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، ....."

وأهم من هذا موقفه ضد الشعوبية حيث استطاع أن يدخل الثقافات الأجنبية: كالهندية واليونانية والفارسية على الثقافة العربية والإسلامية ، ويعمل على تكوين مزج موحد منها جميعاً .

كتاب عيون الأخبار:

وأخذ ينسق مختارات ومقتطفات من الآداب الفارسية ، مع مختارات ومقتطفات من الآداب العربية الخالصة ، ومع مختارات ومقتطفات من الثقافتين الهندية واليونانية ، وكانت ثمرة ذلك كله أربعة مجلدات ضخمة ألَّفت كتاب:" عيون الأخبار " وقد وزعها على عشرة كتب:

أولها كتاب السلطان ، وفيه يتحدث عن سيرته وسياسته وصحبته واختياره للعمال والقضاة والحجاب،.....

والكتاب الثاني: كتاب الحروب، وفيه يتكلم عن آدابها ومكايدها وأوقاتها وحيلها وعُدَدها وسلاحها.....

والكتاب الثالث: كتاب السؤدد، ويتكلم فيه عن مخالبه وأسبابه ، ويعرض لجوانب كثيرة من الشرف والأخلاق الرفيعة .

والكتاب الرابع:عن الطبائع والأخلاق المذمومة من مثل الحسد والغيبة .....

والكتاب الخامس:عن العلم والبيان.

والكتاب السادس:كتاب الزهد وفيه تبرز مواعظ النساك والزهاد ، وتظهر فيه ثقافة ابن قتيبة.

الكتاب السابع: كتاب الإخوان ، وفيه يتحدث عن اختيارهم وما ينبغي أن يكون بينهم من الوشائج والصلات....

الكتاب الثامن: كتاب الحوائج واستنجاحها والمواعيد وانجازها.....

الكتاب التاسع:كتاب الطعام ، وفيه يعرض لصنوف الطعام وأخبار العرب في مآكلهم....

الكتاب العاشر:كتاب النساء ، وفيه يتكلم عن أخلاقهن ، وما يقبل منهن وما يكره.....

أسلوبه:

ولعل فيما قدمنا يصور بوضوح كيف مزج ابن قتيبة بين الثقافات العربية والإسلامية والفارسة والهندية واليونانية، وكذلك ثقافة أهل الكتاب، فكل هذه الثقافات الأجنبية والعربية من مدنية ودينية استحالت عنده إلى هذه الصورة الجديدة التي نقرؤها في عيون الأخبار الذي جاء أسلوبه يمتاز بوضوحه واصطفاء ألفاظه والمزاوجة بينها وهذه طريقة الجاحظ أحياناً ، وأحياناً يسترسل دون محاولة الازدواج، ولكن مع العناية باختيار الكلمات والتناسب بينها بحيث لا نجد فيها أي نشاز ولا أي اضطراب أو انحراف، فقد كانت اللغة مرنة في يده.

وبهذا الأسلوب المتناسق وما يجري فيه من استواء ،صنف كتابه :" عيون الأخبار "، بحيث بدأ وكأنه مضبوط في قوالب متماثلة ، أقوال تستريح لها الأذن، وتجد فيها القلوب والعقول متاعاً لا ينفد.

ويكفي أن ابن قتيبة في أسلوبه الواضح الناصع الذي وصفناه استطاع أن يخرس الشعوبية إلى الأبد بما سوَّى للعربية في عيون الأخبار من هذا الأدب العربي الرفيع الذي وسع مختلف الثقافات ومزج بينها بحيث أصبح له طوابع جديدة مميزة.

ابن العميد

اسمه وكنيته: هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد. المعروف بابن العميد.

لقبه:لقب ابن العميد بألفاظ كثيرة منها: الجاحظ الثاني، وقيل الجاحظ الأخير، والأستاذ ، والرئيس، لسان المشرفي.

حياته:

لم تتحدث المصادر عن تاريخ ولادة ابن العميد وبداية حياته ونشأته ، ولكن نحاول أن نعرض ما توافر في ثنايا الكتب.

ولد ابن العميد في بيت فضل وعلم وجاه ولعل ولادته كانت في السنوات الخيرة من القرن الثالث الهجري.ومات سنة ستين وثلاث مائة.

لم يأن ابن العميد جهداً في حضور حلقات العلم والدرس.

واتهم ابن العميد بتعصبه للفرس على العرب، وهو ممن دخل في قضية الشعوبية.

ثقافته:

أتقن العربية وسبر أغوارها، وعرف أسرارها، وتعلم كثيراً من العلوم المختلفة في بغداد، فقد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع والعلوم التي برع فيها.

ولم تقتصر ثقافته على فنون الأدب (الشعر والنثر)، بل كانت ثقافته واسعة عميقة، إذ كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة ، كعلوم الحيل والهندسة والطبيعة،....

من حكم ابن العميد:

من حكمه الشعرية:

آخِ الرجالَ من الأبا عد والأقارب لا تقارب

إن الأقارب كالعقا رب بل أضرُّ من العقارب

من حكمه النثرية:

" خير القول ما أغناك جدُّه ، وألهاك هزله".

" المزح والهزل بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر".

أسلوبه:

استخدم ابن العميد في أسلوبه علوم البلاغة الثلاثة من بديع وبيان ومعان.

هذا إلى جزالة الأسلوب ، وقوة السبك، ووضوح المعاني، وبساطة العبارة، وحسن اختيار الألفاظ.

وجاءت جمله في رسائله مترابطة متسلسلة.

عاطفته شديدة الصدق. صاحب خيال خصب.

رأي القدماء فيه:

يقول مسكويه:" إنه كان أكتب عصره، وأجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة والغريب، وتوسعاً في النحو والصرف والعروض، واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات، وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام...".

يقول عنه التوحيدي:" كان حسن الكتابة ،غزير الإنشاء ،جيد الحفظ ، ...".

ويقول الثعالبي:"كان عين المشرق،...وأوحد عصره في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة،....".

ويقول ابن الأثير:" كان ابن العميد من محاسن الدنيا، قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير، وسياسة الملك، والكتابة التي أتى فيها بكل بديع،....".

ويقول ابن خلكان:" كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، أما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان يسمى الجاحظ الثاني...."

ويقول الذهبي:" كان آيةً في الترسل والإنشاء ، فيلسوفاً مهتماً برأي الحكماء،...."

ويكمل الذهبي قوله:" كان عجباً في الترسل والإنشاء والبلاغة، يُضرب به المثل،....."

ويقول ابن تغري:" كان ابن العميد فيه فضل وأدب وترسل".

<u>المحاضرة الحادية عشرة</u>

من أعلام النثر العباسي

(الآمدي– بديع الزمان الهمذاني)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **الآمدي:(سيرته– مؤلفاته– – ثقافته النقدية – خصائص نقده– دور الذوق في نقده).**
- **بديع الزمان الهمذاني: (اسمه وكنيته ولقبه – حياته– صفاته– ثقافته– حكمه– رأي القدماء فيه– أسلوبه)**

مقدمة:

تناولنا في المحاضرة السابقة كاتبين من كتاب العصر العباسي، وهما: ابن قتيبة وابن العميد.

وتعرفنا على حياة كل منهما ، وثقافته ، وأسلوبه ، ومؤلفاته،....

وتحاول هذه المحاضرة أن تقف على كاتبين من أعلام النثر العباسي ألا وهما : الآمدي وبديع الزمان الهمذاني.

نحاول معرفة حياة كل منهما وبض المؤلفات ، وثقافة كل منهما ، وأسلوب كل منهما،....

الآمدي: (سيرته)

الآمدي:هو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، البصري(أبو القاسم) نحوي،أديب،ناقد،كاتب وشاعر، ولد بالبصرة، ونشأ بها، وقدم بغداد، وأخذ عن الأخفش والزجاج وابن دريد.توفي سنة٣٧١هـ.

مؤلفاته:

للآمدي مؤلفات عديدة، منها:

١– المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء.

٢- نثر المنظوم.

٣- الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

٤- كتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين.

٥- كتاب معاني شعر البحتري.

٦- كتاب الحروف من الأصول في الأضداد.

٧- كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام.

ثقافة الآمدي النقدية:

امتلك الآمدي ثقافة نقدية واسعة اكتسبها من اطلاعه الواسع والعميق على كتب النقد العربي التي أُلفت قبله،والتي منها طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

أما من حيث الثقافة اللغوية فقد كان الآمدي لغوياً قديراً، فهم اللغة العربية فهماً دقيقاً وامتلك ناصيتها، وعرف مدلولاتها الدقيقة.

ولا ننسى مؤلفات الآمدي النحوية واللغوية منها الكتاب الذي ألَّفه في مسألة(هل وقد).ولاشك أن هذه المعرفة اللغوية تقوي ثقافته النقدية وتعمقها وتمكن أداته فيها.

وعلى الرغم من تمتع الآمدي بالذوق العربي السليم، والثقافة العربية الأصيلة، فقد طعَّم ثقافته بعناصر غير عربية كاليونانية والتركية والفارسية،...

خصائص الآمدي الناقد:

١- الحرص والدقة على التحقيق:

كان الآمدي حريصاً على الأمانة في النقل، دقيق جداً وخاصة عند تحقيقه الروايات اللفظية، فيعمل بفكره الثاقب ويجهد نفسه ليخلص الرواية مما علق بها من تزييف أو تحريف أو تصحيف.

٢- صحة التعليل:

ويقصد به إيراد الأمثلة والتماس التعليل العقلي لها، وهذا ما نجده متفرقاً في الموازنة في كل الأبواب.

٣- رغبة الآمدي في إقرار العدل:

رغب الآمدي أن يكون حاكماً عادلاً يطمح إلى إقرار العدل وإحقاق الحق في جملة قضايا نقدية طالما تجادل الناس فيها ووقفوا عندها.

٤- تجنبه الحكم النهائي:

عرض الآمدي في الموازنة لأقوال الأنصار والخصوم، دون أن يرغمنا على قبول وجهة نظره أو يفرض علينا أحكاماً لا نقرها.

دور الذوق في نقد الآمدي:

عاش الآمدي في القرن الرابع الهجري، قرن امتزاج الحضارات المختلفة، وقرأ الكثير من المؤلفات والدواوين الشعرية القديمة والحديثة، وقد كان يتمتع بذوق عربي سليم.

عاش الأدب فدخل أعماقه، ومارس الشعر فأحسن في اختياراته، وتذوق الفن النقدي فسبر أغواره.

ولا نغالي في مدحنا للآمدي وذوقه السليم في نقد الشعر، ذلك أن حسه المرهف مكنه من إصلاح بعض الأبيات للشاعر الفحل أبي تمام.

بديع الزمان الهمذاني:

اسمه:أحمد بن الحسن بن يحيى بن سعيد بن بشر الهمذاني.

كنيته: أبو الفضل.

لقبه: بديع الزمان.

أصله: ولد بديع الزمان في"همذان" سنة ٣٥٨هـ. وإليها نسب.

حياته:

لم تتحدث المصادر عن بدايات حياته ونشأته، ولكنها بدأت تؤرخ لها وتذكر عنها بعد أن أصبح شاباً قادراً على التنقل، إذ فارق همذان سنة(٣٨٠هـ) وعمره نحو ثنتين وعشرين سنة، بعد أن أخذ عن كثير من علمائها.

وعلى الرغم من أخباره القليلة، فإن من يدرس مقاماته ورسائله وشعره فإنه سيقف على كثير من النقاط التي تضيء جوانب كثيرة من حياته وأخباره.

وفاته: توفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

صفاته:

كان بديع الزمان الهمذاني مقبول الصورة، خفيف الروح، حسن العشرة، ناصع الظرف، عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد، خالص الود، حلو الصداقة.

موهبته: لم ينافسه منافس في ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ولم يدركه مدرك في ظرف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته.

ثقافته:

درس بديع الزمان العربية والأدب، وحرص عل إتقانهما إتقاناً تاماً، ومعرفة أسرارهما، ولم يأل جهداً في التزود بجميع أنواع المعرفة والعلوم.

لذلك غدت ثقافته واسعة عميقة شاملة، أضف إلى ذلك كله، تطلعه إلى الاتصال بالعلماء .

يضاف إلى ما سبق إتقانه للفارسية.

رأي القدماء فيه:

يقول الثعالبي:"بديع الزمان معجزة همذان ،... لم نر نظيره في الذكاء، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ولم ندرك نظيره في طُرف النثر ومُلحه".

ويقول عنه الحصري:" كلامه أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً".

ويقول عنه البيهقي:" كان بديع الزمان يحفظ خمسين بيتاً بسماع واحد، ويؤديها من أولها إلى آخرها، وينظر في كتاب نظراً خفيفاً، ويحفظ أوراقاً ويؤديها من أولها إلى آخرها".

ويقول ابن خلكان:" بديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه،واقتفى أثره،....".

ويقول الذهبي:" كان بديع الزمان الأديب العلامة صاحب المقامات المشهورة والرسائل، فصيحاً مفوهاً، وشاعراً مفلقاً".

ويقول ابن تغري عنه:" صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة ، اعْتُرف له بالفضل، وكان إمام وقته في المنثور والمنظوم".

من حكم بديع الزمان الهمذاني:

من حكمه:

(ما كل مائع ماء، ولا كل سقف سماء، ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله).

(المرء لا يعرف ببرده، والسيف لا يعرف بغمده).

(إن بعد الكدر صفواً وبعد المطر صحواً).

أسلوبه في مقاماته:

الأسلوب عند بديع الزمان الهمذاني حواري قصصي في أكثر مقاماته، والقصد الأول عنده أن تكون ألفاظه مما يخلب لب السامع ويخترق بروعته ورشاقته قلبه ومشاعره؛ لذلك اختار السجع بأشكاله، لأنه اللون الفني الذي ساد الكتابة في ذلك العصر.

وبديع الزمان يعرف كيف يصوغ لفظه وكيف يعرضه، وكيف يحدث فيه من التموجات الصوتية ما يجعله يدخل الآذان دون استئذان.

كما يستعمل الإيجاز حين يحسن الإيجاز والإطناب إذا تطلب الموقف الإطناب.كان في أسلوبه كاتباً مبدعاً متقناً.

<u>المحاضرة الثانية عشرة</u>

(كتاب البيان والتبيين للجاحظ)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **أسلوب الكتاب:**
- **دوافع تأليف الكتاب:**
- **محتوى الكتاب:**
- **منهج تأليف الكتاب:**
- **مآخذ على الكتاب:**
- **أثر الكتاب قديماً وحديثاً:**
- **طبع الكتاب ونشره:**

مقدمة:

تناولت المحاضرات السابقة مجموعة من أعلام النثر العباسي، وهم:

(ابن المقفع- سهل بن هارون- الجاحظ- ابن قتيبة- ابن العميد- الآمدي- بديع الزمان الهمذاني).

وقد تعرفنا على: ميلادهم ووفاتهم، وأصولهم،وحياتهم، ونشأتهم، وفكرهم، أسلوبهم، وثقافاتهم، وفكرهم، ومؤلفاتهم،.....

وتحاول هذه المحاضرة أن تلقي الضوء على كتاب: البيان والتبيين للجاحظ.

مؤلف كتاب:البيان والتبيين:

<u>المؤلف :</u>

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الذي لقب بالجاحظ بسبب جحوظ عينيه، ولد على التقريب عام ١٥٩هـ، وتوفي عام ٢٥٥هـ .

ولم يكن الجاحظ رجلاً عادياً من عامة الناس الذين يطمحون إلى تثقيف أنفسهم عن طريق الاستماع والمحادثة فحسب، كأن يكون مطلبه علم الكلام، أو اللغة أو البلاغة، بل كان يتميز بمقدرة عقلية تستوعب كل شيء كما كان يتميز بنهم شديد بكل أنواع العلم والمعرفة .

بل لم يكن هناك شيء أحب إليه من الكتاب وكان هناك مصدر ثالث تميز به عن غيره وهو معايشة الناس ومراقبتهم مراقبة الفنان الذي يحاول أن يكتشف عالمهم الداخلي بقدر ما يرصد مظهرهم الخارجي .

<u>مؤلفاته :</u>

و لا عجب بعد ذلك أن خلَّف لنا الجاحظ ثروةً من الكتب في موضوعات مختلفة ومتعددة فقد كتب في موضوعات عقائدية مثل: كتاب: "الإمامة"، وكتاب:"الرد على اليهود" وكتب في المعارضات وكتب في موضوعات اجتماعية .

أسلوب البيان والتبيين:

تحرر أسلوبه من الغموض وتنميق اللفظ مع الاحتفاظ بجزالته، وجاء أسلوبه يشمل: ما تعلم وما قرأ وما سمع وما خَبُرَ من أحوال الناس .

دوافع تأليف كتاب البيان والتبيين:

الدافع الأول:

لم يكن الجاحظ حتى زمن تأليف هذا الكتاب قد اختص البيان العربي ببحث شامل يبين فيه طاقات اللغة العربية في مجال التعبير وفي مجال إمتاع المستمع عن طريق المناظرة أو الخطابة وهما اللونان الأدبيان اللذان كانا يمارسان في بيئة البصرة .

الدافع الثاني:

هو الرد على الشعوبيين الذين كانوا يعيبون على العرب خطبهم وتقاليدهم في إلقاء تلك الخطب.

محتوى كتاب البيان والتبيين:

بدأ بالاستعاذة ثم تحدث عن نعمة فصاحة اللسان، وعاب التشدق وانتقل إلى الحديث عن اختلاف لغة العرب في استعمال الألفاظ. وتناول الخطابة فتحدث عن عيوب اللسان، مشيراً في ذلك إلى أشهر الخطب وأشهر الخطباء.

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن البلاغة، فتحدث عن البلاغة في اللسان وفي الصمت وفي الكلام المسجع، مقدماً نماذج كثيرة من الحديث الشريف والخطب والحكم والأمثال.

ثم تهيأ للدفاع عن فصاحة العرب،وخطبائهم ضد اتهامات الشعوبية، ثم تكلم عن الزهَّاد والنسَّاك .
ولا تفوت الجاحظ في كل هذا فكاهته التي عُرفت عنه، وهي تبدو جلية في أثناء حديثه عن نوادر الحمقى والمجانين.

فالكتاب على هذا النحو مادته حول:(<u>الفصاحة والبلاغة</u>).

منهج الكتاب:

على أن هذا لا يعني أن منهج تأليف الكتاب قد تم بناء على خطة تدرس الموضوعات دراسة متسلسلة منطقية بحيث تبدو متكاملة ومتسلسلة ومبوبة من البداية للنهاية، فهذا أسلوب لم يكن كبار الأدباء في ذلك العصر قد عرفوه بعد، بل كانت تتحكم في منهجه طريقة السرد والاستطراد التي تؤدي إلى تشعب الموضوعات.

أسباب اعتماد منهج الكتاب على طريقة السرد:

وربما يرجع هذا إلى أمور منها:

١- أن السرد كان هو الوسيلة الأولى لتحصيل الثقافة في ذلك العصر، وكان متحكماً في عقول الباحثين فعندما مارسوا عملية الكتابة بعد ممارستهم عملية التثقيف الشفوي كان أسلوب التدريس الشفهي هو الغالب عليهم.

٢- عندما اتجه مفكروا ذلك العصر إلى تعريف مباحث العلوم كالبلاغة مثلاً كانوا قد عمق فكرهم وبَعُد تصورهم للأشياء واتسمت تعريفاتهم بالتشعب، وكان هذا يقتضي البحث عن نماذج من التراث العربي لتدعيم كل جانب من جوانب هذا التعريف.

تابع:

٣- كان رصيد المفكرين وعلى رأسهم الجاحظ من التراث العربي هائلاً بحيث يمكننا أن نقول إن المادة كانت تنصب انصباباً في أثناء تأليفهم دون أن يملكوا وقفها.

مآخذ على الكتاب:

كان الجاحظ في كتابه يأتي بالخبر في موضعه فإذا به يورده نفسه في مكان آخر دون أن تكون هناك ضرورة تقتضي ذلك.

أثر الكتاب قديماً وحديثاً:

<u>قديماً</u>:

يعد كتاب البيان والتبيين موسوعة في الأدب العربي تغذى بثمرها القدماء والمحدثون، وقد اعتمد عليه كبار الكتاب القدماء الذين جاءوا من بعده مثل: ابن قتيبة في: (عيون الأخبار)،و المبرد في: (الكامل) وابن عبد ربه في: (العقد الفريد)،وغيرهم.

كما انه رسم الطريق لمن جاء بعده في أسلوب التأليف الأدبي الذي هو جَمْعُ من كل شيء.

أما في العصر الحديث: لا يوجد باحث في أي جانب من جوانب التراث العربي لم يستعن بهذا الكتاب .

طبع الكتاب ونشره:

نُشر الكتاب لأول مرة بين سنتي ١٣١١هـ - ١٣١٣هـ وقام بنشره في مجلدين حسن الفكهاني، والشيخ محمد الزهري الغمراوي، ثم نشر بعد ذلك في ثلاثة مجلدات عام ١٣٢٥ هـ بإشراف محب الدين الخطيب، أما النشرة الثالثة فقد أخرجها حسن السندوبي في عام ١٣٤٥هـ وتقع في ثلاثة مجلدات.

ثم ظهرت بعد ذلك نشرة للكتاب في عام ١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ وقام بتحقيقها الأستاذ: عبد السلام هارون وظهرت الطبعة الثالثة للكتاب من مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٩٦٨م .

وتوالت دور النشر على نشره بعد ذلك.

المحاضرة الثالثة عشرة

(كتاب: الشعر والشعراء لابن قتيبة)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **المؤلف:**
- **عناوين الكتاب:**
- **منهج الكتاب:**
- **رأي ابن قتيبة في المتقدم والمتأخر من الشعراء:**
- **مادة الكتاب:**
- **طبع الكتاب ونشره:**

مقدمة:

تناولنا في المحاضرة السابقة كتاب: البيان والتبيين للجاحظ ، وعرضنا لأسلوبه ، ومادته، ومنهجه ، ومحتواه ، والمآخذ عليه، وقيمته ، وطبعه ونشره،...

وتحاول هذه المحاضرة أن تلقي الضوء على كتاب: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

مؤلف كتاب: الشعر والشعراء:

ابن قتيبة : قريب الجاحظ في سعة الثقافة وشمولها ولد عام (٢١٣هـ٨٢٨م) لأب فارسي لم يكن ذا شأن اجتماعي أو سياسي وتوفي عام (٢٧٦هـ-٨٨٩م) كان ابن قتيبة فيما يقول ابن النديم: (عالما في اللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه كثير التأليف والتصنيف).

وتاق ابن قتيبة منذ صغره إلى أن يكون أديباً بمفهوم الأدب على أيامه فهو يحدُّث عن نفسه، قائلاً :"كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب وأن أضرب فيهم بسهم " وقد ألمَّ ابن قتيبة بكل علوم عصره .

مؤلفاته:

كانت مؤلفاته صورة صادقة لثقافته، فجاءت متنوعة تشمل أغلب معارف عصره.

وذكر له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً،وبلغ بها آخرون ثلاثمائة.

ومناطق اهتمامات هذه الكتب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والنحو، واللغة، والأدب من شعر ونثر وأمثال، والتاريخ والآداب الاجتماعية وغيرها.

عناوين كتاب: الشعر والشعراء:

وصلنا كتاب: الشعر والشعراء في عدد من المخطوطات موزعة على عدد من مكتبات العالم في القاهرة ودمشق والمدينة المنورة وبرلين وباريس وفينَّا،وفي دار الكتب المصرية منها ثلاثة كتب.

ولم تتفق المصادر التي تحدثت عن الكتاب ومخطوطاته على عنوانه فهو عند ابن النديم:(الشعر والشعراء)وسماه الجاحظ:(أخبار الشعراء) ،وسمي أيضاً:(ديوان الشعر والشعراء)،وأيضاً:(كتاب طبقات الشعراء) وسمي:(كتاب الشعراء).

منهج تأليفه:

فصلَّ ابن قتيبة منهجه في دراسته له ؛فهو يعد أول منهج يصلنا في العربية على هذا القدر من الوضوح؛ ففيه حديث عن مادة الكتاب وهدف المؤلف من تأليف الكتاب،ووسيلته إلى هذا الهدف.

فمادة الكتاب عن:الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يُعرف باللقب أو الكنية منهم

وعمَّا يستحسن من أخبار الشاعر وما يعتمد من شعره وما أخذه العلماء عليهم من اللحن والخطأ في ألفاظهم و معانيهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وفيه:أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها.

رأيه في المتقدم والمتأخر من الشعراء:

يقول:(وما نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره؛ بل نظرت بعين العدل بين الفريقين وأعطيت كلاً حظه وقررت عليه حقه).

ويعيب على نقاد الشعر ودارسيه من أهل زمانه أن منهم من يستجيد الشعر السخيف؛ لتقدم قائله ويضعه في متخيره وينزل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله.

ويحتج ابن قتيبة لرأيه بأسباب عمادها:(<u>الملاحظة والمنطق والعقل</u>).

مادة الكتابة:

قسم ابن قتيبة مادة الكتابة إلى قسمين: (الشعر والشعراء) تحدث في القسم الأول عن: (الشعر): لفظه ومعناه، وما حُسن منه، وما رَذُلَ، وأورد تعليلاً لمنهج القصيدة العربية في وقوفها على الأطلال وانتقالها منه إلى الغزل فإلى الوصف، ثم الموضوع وانتهائها ببيت أو أبيات تجري مجرى الحكم والأمثال.

ويرى ابن قتيبة: أنه ليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فيما يتصل بشكل القصيدة، لكنه يكره لهم أن يقلدوا القدماء في المعاني والأخيلة أو ما يجددوا ما هو شر من التقليد؛ كأن يبكي عند بنيان مشيد؛ لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر ،والرسم العافي أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما؛لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير.

وتكلم عن الطبع والتكلف في الشعر عند الشعراء، ودواعي الشعر ثم عالج عيوب الشعر، ومنها: الإقواء والإكفاء والسناد والإجازة. وتعرض لأخطاء الإعراب وما يجب أن يكون عليه الشعر من تسامٍ عن سواقط اللهجات وشواذ اللغات.

وأوقف ابن قتيبة القسم الثاني من كتابه: الشعر والشعراء، على (الشعراء):أنسابهم، وأشعارهم،وما اتصل بهم من تاريخ وحكايات. ومهد لهذا القسم بحديث قصير مبتور عن أوائل الشعراء، ولم

يلتزم بنهج معين يسير عليه في تعريفه للشعراء ، وكل ما هنالك أنه أورد الجاهليين أولاً وأتبعهم بالإسلاميين، وتناثر المخضرمون بين القسمين.

وبدأ بدراسة الشعراء بالشاعر امرئ القيس وثنى بزهير بن أبي سلمى، واتبعه بابنه كعب بن زهير.

وطريقته في التراجم المطولة أن يورد نسب الشاعر وبعض أخباره وشيئاً من نصوصه المختارة في إيجاز، ثم يعود فيبسط ما أجمله.

ولا يهتم ابن قتيبة عادة بتفسير لغويات النصوص التي يوردها ولا بشرحها،وقد يعلِّق عليها أحياناً، ينقد بعض ما يرويه لكن نقده يقوم على الذوق لا على التحليل والتعليل .

قيمة الكتاب:

الكتاب على قدر كبير من التنظيم وهو أول ما نلقى من تأليف عربي منظم.

وخاتمة الكتاب لا تشعر بانتهائه؛ حيث خلا من تراجمٍ لثلاثة من كبار شعراء عصره، وكانوا معاصرين له، وهم:

أبو تمام، والبحتري، وابن الرومي .

طبع الكتاب ونشره:

كان كتاب الشعر والشعراء من أوائل المصادر العربية التي قام على تحقيقها ونشرها المستشرقون.

ففي العالم العربي طبعه لأول مره السيد محمد بدر الدين الخانجي سنة(١٣٠٢هـ -١٩٠٤م)، وطبعه محمود توفيق بمطبعة المعاهد بمصر سنة (١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م)، وحققه أيضاً الأستاذ أحمد محمد شاكر، وصدرت الطبعة الأولى لهذا التحقيق سنة(١٩٤٥م)،والطبعة الثانية عن دار المعارف بمصر (١٩٦٩م)

<u>المحاضرة الرابعة عشرة</u>

(خصائص النثر العباسي ونماذجه)

عناصر المحاضرة:

- **مقدمة**
- **خصائص النثر العباسي:**
- **التعقد والموضوعية.**

- **الاستطراد.**
- **الزخرفة والتصنيع.**
- **ظاهرة السجع.**
- **نماذج من رسائل ابن المقفع:**

مقدمة:

تناولنا في عدة محاضرات مجموعة من أعلام النثر العباسي:

(ابن المقفع، سهل بن هارون، الجاحظ، ابن قتيبة، ابن العميد، الآمدي،....).

ثم عرضنا لكتابين من كتب العصر العباسي وهما:" البيان والتبيين" للجاحظ ،و" الشعر والشعراء " لابن قتيبه.

وتحاول هذه المحاضرة أن تعرض لبعض خصائص النثر العباسي، ونماذج من رسائل ابن المقفع.

خصائص النثر العباسي:

تميز النثر العباسي بعدد خصائص، منها:

أولاً- التعقد والموضوعية:

إزاء التطور الحضاري المتناهي في العصور العباسية غدت الكتابة – كسائر فنون العصر- صناعة معقدة في قواعدها وأساليبها.

حتى إذا أهلَّ فجر القرن الرابع الهجري كان الطابع الموسوعي قد وضع مياسمه على الكتابة والتأليف وما استتبع ذلك من مصنفات وكتب كان الجاحظ رائدها الأول.

وقد تطلب ذلك كله من الكاتب مؤهلات لم يكن الكاتب في سالف العهد يحتاج إلى مثلها، حين لم يكن عليه إلا أن يكون فصيحاً، متسماً بالبداهة، قادراً على الارتجال.

ثانياً- الاستطراد:

وقد نجم عن الطابع الموسوعي في التأليف وما انطوى عليه أسلوب ذلك العصر من إسهاب، بروز ظاهرة الاستطراد.

فحين كانت المسائل معينة والأفكار محددة لم يكن على الكاتب في صدر الإسلام أو في العصر الأموي، أو حتى على الكاتب في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد بني العباس أن يسترسل في موضوعه ويتوغل في شعاب الفكر ووجوه الرأي.

أما الأمر في هذه الحقبة العباسية المغايرة فقد بات مختلفاً بعد اتساع المعارف وغزارة الأفكار.

ويبدو أن الجاحظ وجد في هذا الوضع الجديد ما يثقل على القارئ العربي الذي ألف اللمح والإيجاز واعتاد سماع المثل السائر أو الخطبة المقتضبة.

فكان لابد للكاتب تجاه ذلك، ومن منطلق نفساني، أن يخلل ركام الآراء المسهبة وفيض المسائل المستفيضة بمحطات أو استراحات ينعطف إليها بقارئه ويِحرص من خلالها على أن يريحه من عناء المتابعة ووطأة التقصي، فكان من جراء ذلك أن جنح إلى الاستطراد. والجاحظ كان صاحب هذا المذهب ورائده والداعي إليه.

ثالثاً- الزخرفة والتصنيع:

ومن أهم ما انطوت عليه حياة الناس في العصر العباسي ذلك التبدل الحضاري الكبير حين تغيرت ملامح الحياة تغيراً أساسياً؛ فتهدم إطارها القديم وحل محله إطار جديد من الزخرف والتصنيع. فقد أخذ الناس يعيشون معيشة حضارية مترفة لا تتصل بالبادية ولا بالحياة العربية القديمة، وإنما تتصل بالأناقة والترف والزينة ... وطبيعي أن يسري هذا الذوق من حياة العباسيين الاجتماعية إلى حياتهم الأدبية لأنه تعبير عصرهم الذين عاشوا فيه.

رابعاً- ظاهرة السجع:

وواقع الأمر أن السجع إنما وضع مياسمه على الرسائل الديوانية أي المنشورات الرسمية أول الأمر، وبخاصة في إبان القرن الثالث الهجري.

ثم أتى القرن الرابع ليشهد استمرار هذه الظاهرة الفنية بل استفحالها فيما تلا ذلك من العصور.

ولم تعد ظاهرة السجع وسائر ألوان البديع محصورة في نطاق الرسائل الديوانية بل أخذت مدى أبعد وأشمل وأخذت تسري في

الرسائل الأدبية وفي أنماط نثرية أخرى كان أشهرها المقامات.

حتى ليمكن القول إن هذا الأسلوب النثري المسجوع أصبح النمط الأثير إلى القلوب في تلك الحقبة العباسية وما تلاها بعد ذلك من عهود.

ولقد سرى السجع إلى المؤلفات والمصنفات مما يتصل بكتب الأدب وبغيرها من كتب التراجم والأخبار والتاريخ...وبدا ذلك شائعاً في مقدماتها وخطب مؤلفيها.

وترك كل ذلك مياسمه على أسماء تلك الكتب والمصنفات، مثل:

"يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" للثعالبي،و"زهر الآداب وثمر الألباب" للحصري،و"إنباه الرواة على أنباه النحاة"، ... وهكذا وجدنا الكتَّاب والمصنفين يلتزمون هذه التسميات في عناوين كتبهم في القرون التي تلت، مثل كتاب:"نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري،....

نماذج من النثر العباسي:

يقول ابن المقفع في تهنئته بمولودة لأحد أصدقائه:

" بارك الله لكم في الابنة المستفادة، وجعلها زيناً، وأجرى لكم بها خيراً، فلا تكرهها، فإنهن الأمهات والأخوات والعمات والخالات، ومنهن(الباقيات الصالحات) وربَّ غلام ساء أهله بعد مسرتهم، وربَّ جارية فرَّحت أهلها بعد مساءتهم".

اقتبس ابن المقفع من القرآن الكريم كلمة(الباقيات الصالحات) واعتنى بالإيجاز والاقتصاد الشديد.

ويقول ابن المقفع في التعزية عن ولد:

" إنما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقه، فلا تجمعنَّ إلى ما فُجعت به من ولدك الفجيعة بالأجر عليه والعوض منه، فإنها أعظم المصيبتين عليك، وأنكى المرزئتين لك، أخلف الله عليك بخير، وذخر لك جزيل الثواب".

المرزئتين: المصيبتين.

والدقة المنطقية واضحة في هذه الرسالة مع ما يجري فيها من طرافة التفكير، فقد جعل الجزع على الولد فجيعة لا تقل عن فجيعة فقده، بل جعلها أعظم وأنكى، إذ تحرم صاحبها الثواب.

وتلطف فدعا لصاحبه أن يعوضه الله عن ولده ويخلف عليه بخير منه .

لا تنسونا من صالح دعائكم